١ ــ دخول التاء على المؤنث من الحيوان

التاء هو «المميز» القياسيّ الوحيد الذي لحق بالكلمات كلّها، تقريباً، لينقلها من حالة التذكير إلى حالة التأنيث.

يتضح ذلك بقولنا إنّ العربيّ قد يكون قال في أول الأمر:

إنسان، عجوز، بعير، عقرب، ضَبُع، جيأل، بِرْذَون، أسد، أرنب، سِنّور، ضَيْون، هرّ، قِطّ، فرس، ثعلب، ذئب، قنفذ، وعنكبوت للدلالة على الذكر والأنثى؛ لأنّه لم يكن يملك، في بداية الأمر، القدرة، العقلية والثقافية والحضارية، على التمييز بين الذكّر والأنثى، بل ربّما كان لا يبالي أذكراً كان هذا الحيوان أم أنثى؛ لأنّه لم يكن بحاجة إلى هذا التمييز، ولم يكن يملك وسائل التمييز... فكان أن أطلق اسماً على كلّ حيوان.. ثم تطوّرت اللغة بتطوّره، وارتقت بارتقائه؛ لأنّ اللغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم ــ كما يقول ابن جنّي[1] ــ وعن حاجاتهم. كما يمكن أن نقول: انّ العربيّ وضع اسماً آخر بجانب الاسم الأول للدّلالة على الذكر أو الأنثى.. ثم، في مرحلة ثالثة، استطاع فكره أن يسمو إلى نوع من التجريد والقياس فعاد إلى الأسماء الأُوَل سواء أكانت مذكّرة أم مؤنّثة، وميّز بينها بمميز التأنيث، فأدخل على الأسماء التي مرّ ذكرها (تاء التأنيث

(١) الخصائص، ص: ١/ ٣٣.